

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٨٧٨ : خ١- قال تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا...) ،
خ٢- خطبة قاضي دمشق محي الدين القرشي عند فتح القدس .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٣-٠٤-١١

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق و البشر، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

تلمس المسلم الصادق التحليل القرآني و التفسير النبوي للأحداث :

أيها الأخوة الكرام: أخ محب سألني البارحة مشفقاً عليّ: ماذا سوف تقول غداً للناس بعد الذي حدث في بغداد؟ قلت له: أنا طالب علم، و طالب العلم يجري في دمه تصديق لما في القرآن، و لما في سنة النبي صلى الله عليه و سلم، إن أردنا تفسير الأحداث فلنعد إلى القرآن و إلى السنة، و إن أردنا تلمس طريق الخلاص فلنعد إلى ما في القرآن و ما في السنة، و إن أردنا رصد المستقبل فلنعد إلى ما في كتاب الله و ما في سنة رسول الله، هذا شأن الدعاة إلى الله، هويتنا نحن الدعاة - و نرجو الله سبحانه و تعالى أن يقبل العمل - أن نبين للناس ما في الكتاب و السنة، ففي هذه الخطبة إن شاء الله سأضع بين أيديكم ما في الكتاب و ما في السنة من آيات و سنن لا تبدل و لا تغير.

أيها الأخوة الأكارم: المسلم الذي تحقق لديه الحد الأدنى من الغيرة على هذا الدين، و من الإحساس و التفاعل مع ما يصيب المسلمين في مشارق الأرض و مغاربه ليشعر بالمرارة و الحزن و القهر لما يجري حوله من تأمر و كيد و تكالب و تداع على الإسلام و أهله من جانب أعداء الدين و هو الأصل فيهم، و لما يجده من تخلف و تضييع و انهزام و تخاذل و عجز من جانب المسلمين، و كل إنسان حينما يحاول أن يجد تفسيراً و تعليلاً و تحليلاً لمشكلة يقع فيها لا بد من أن ينطلق في هذه المحاولة من المنطلقات النظرية، أو من فلسفته، أو من عقيدته، أما المسلم

فينبغي أن ينطلق في تحليله للواقع وتشخيصه للمشكلة وتلمسه للحلول الممكنة والسعي لتطبيقها عليه أن ينطلق من حيث كونه مسلماً، رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، و بمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، عليه أن ينطلق من الإسلام الذي هو دين الله الموحى به إلى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قرآناً وسنة، لا بد أن يكون للمسلم تميزه أقول تميزه في تحليله للأحداث، و مناقشته لها، و التعامل معها بما ميزه الله به من منهج رباني، هناك ملايين التحليلات، هناك عدد لا يحصى من التحليلات، المسلم الصادق يتلمس التحليل القرآني و التفسير النبوي، قال تعالى:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

[سورة المائدة: ٣]

أيها الأخوة الكرام: إنها محاولة لقراءة الأحداث، و لقراءة طريقة التعامل معها اعتماداً على نصوص الوحيين الكتاب والسنة، والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

على المسلم مراجعة دينه عند إصابته بمصيبة ما :

أيها الأخوة: الأصل في المسلم حينما يصاب بمصيبة على الصعيد الشخصي، أو العام أن يبادر إلى مراجعة دينه، واتهام نفسه بالتقصير والتفريط الذي استوجب هذه العقوبة، و عليه أن يسارع إلى اكتشاف مواطن الخلل، وإصلاحها، وتلافيتها مباشرة على المستويين الفردي و الجماعي:

﴿ أَوْلَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾

[سورة آل عمران: ١٦٥]

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾

[سورة الشورى: الآية ٣٠]

و حينما يفهم المسلمون فلسفة المصيبة، ويتفاعلون معها ذاك التفاعل الذي أشرت إليه تكون هذه المصيبة قد حققت دورها الذي من أجله قدرها الله عليهم، قال تعالى:

﴿ وَلَنَذِيقَنَّهِنَّ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

[سورة السجدة: ٢١]

و قال تعالى:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ

يَرْجِعُونَ ﴾

[سورة الروم: ٤١]

و عندما يغيب التعامل الشرعي الصحيح مع المصيبة فإن المرء يخشى من مصائب أكبر و أكبر تتوالى على الأمة حتى تنتبه وتؤوب إلى رشدها وصوابها، عن ابن عمر قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ وَأَخَذْتُمْ أُنْتَابَ الْبُقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ...))

[أبو داود عن ابن عمر]

كناية عن التقلت من منهج الله في كسب المال، و كناية عن الخلود إلى النعيم:
(وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُنَا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ))

[أبو داود عن ابن عمر]

وَعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
(يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟
قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ
وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ
الْمَوْتِ))

[أبو داود عن ثوبان]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:
(يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةَ فِي قَوْمٍ
قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِنْ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْوُجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا
وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنْ أَخَذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمُتُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ
يَمْتَنِعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِنْ مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ كَانُوا الْبَهَائِمَ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُصُوا عَهْدَ اللَّهِ
وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِنْ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكَمْ
أَنْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ))

[ابن ماجه عن ابن عمر]

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ
عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ))

[الترمذي عن حذيفة بن اليمان]

الأسباب التي وصلت بالأمة إلى الذل والضعف :

أيها الأخوة الكرام: إن المتأمل في هذه النصوص يجد فيها الأسباب التي وصلت بالأمة أفراداً وجماعات إلى ما وصلت إليه من ذل وضعف وتخاذل وتكالب الأمم الكافرة عليها من كل حذب وصوب، لتستبيح حرمااتها، وتنتهب خيراتها، وتذيقها الخسف والهوان.
إجمال سريع لهذه الأسباب: نقض الأمة لعهد الله، وعهد رسوله، وهو الالتزام الكامل والشامل والتام بدين الإسلام؛ عقيدة، وشريعة، وعبادة، وأحكاماً، وأخلاقاً، وسلوكاً، وتعاملاً، ودعوة، تعطيل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ترك الجهاد في سبيل الله بمفهومه الواسع جهاد اللسان، وجهاد السنان، وجهاد القوة، وجهاد النفس والهوى، الخلود والركون إلى الدنيا، واتباع الشهوات، والاهتمام بالحياة الاقتصادية والرفاهية في العيش دون تمييز بحلال أو حرام أو ربا، الإعراض عن الآخرة والاستعداد لها مما يؤدي إلى حب الحياة وكرهية الموت.

أيها الأخوة الكرام: لا بد للمسلم أن يدرك أن سنن الله في الكون لا تحابي أحداً كائناً من كان، ارفع من الشعارات ما شئت، سنن الله في خلقه لا تتبدل و لا تتغير و لا تحابي أحداً. ارفع أي لافتة، سم اسمك بأي اسم، انتم إلى أي دين، هذا الذي تفعله لا يقدم و لا يؤخر: **((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))**

[متفق عليه عن أبي هريرة]

﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾

[سورة فاطر: ٤٣]

سيدنا عمر قال لسعد بن أبي وقاص الذي فداه النبي بأمه و أبيه و ما فدى النبي أحداً بأمه و أبيه إلا سعد بن أبي وقاص قال: " ارم سعد فداك أبي و أمي"، و عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَقْبَلَ سَعْدٌ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤًا خَالَهُ))

[الترمذي عن جابر]

و مع ذلك قال له عمر: يا سعد لا يغرنك أنه قد قيل خال رسول الله فالخلق كلهم عند الله سواسية، ليس بينه و بينهم قرابة إلا طاعتهم له.

نصر الله في الامتثال الكامل لدينه الذي ارتضاه لنا :

أيها الأخوة الكرام: إن من تمام التدين الصحيح، وتوحيد الله التوحيد الكامل، والالتزام بهذه السنن التزاماً حرفياً ليحصل المسلم على ما يرجوه من النصر والعزة والتمكين، وقبل هذا كله رضوان الله، والفوز بجنته، والنجاة من النار، لا بد للمسلم من أن يوقن بأن الدواء والحل الذي جاء في الوحي هو وحده الناجي والمفيد، ولا سبيل للنجاة والشفاء إلا به، فلا يضيع وقته و جهده في إيجاد حلول مخترعة:

((اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وعليكم بالأمر العتيق))

[الدارمي عن ابن مسعود]

أيها الأخوة: إلهنا العظيم يقول:

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾

[سورة إبراهيم: ٤٦]

و هذا الذي ترونه وتسمعون تزلزل منه الجبال لكن الله يقول:

﴿ وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾

[سورة آل عمران: ١٢٠]

فإن أضربنا كيدهم فنحن لا نصبر و لا نتقي، نريد الدنيا و نريد التقلت من منهج الله:

﴿ وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾

[سورة آل عمران: ١٢٠]

أيها الأخوة الكرام: لا بد من الصبر والمداومة على الدواء حتى يؤتي هذا الدواء ثماره اليانعة بإذن الله.

أيها الأخوة الكرام: أصيبت الأمة الإسلامية خلال السنوات القليلة الماضية بنكبات متتالية في مناطق متعددة من العالم الإسلامي، وتفاعل المسلمون بدرجات متفاوتة مع هذه النكبات، و ضجت المساجد، ورفعت الأكف تدعو الله بكشف الكرب، وإنزال النصر مستغلة الأوقات التي هي مظنة لاستجابة الدعاء، كالعشر الأواخر من رمضان، وجوف الليل، وليلة القدر، و العشر من ذي الحجة، ويوم عرفة، والدعاء هو العبادة، وهو واجب ومطلب شرعي، و لكن سنة الله ماضية:

((بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يَسْتَجَابُ لَكُمْ))

[الترمذي عن حذيفة بن اليمان]

و هذا الذي حصل، ما من مسجد في العالم الإسلامي إلا و هو يدعو دعاء القنوت عقب كل صلاة.

أيها الأخوة الكرام: لا بد من المباشرة الفورية، والاستجابة الحاسمة لمتطلبات الدواء فإن التسوية والمطالبة والتملص لن يزيدنا إلا ضعفاً وتخاذلاً، و الحل في كلمة واحدة هو التغيير:

﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة الرعد: ١١]

لقد كلفنا الله سبحانه و تعالى ما نطيق، وهو تغيير الأنفس، وتكفل لنا بما لا نطيق، وهو تغيير الظروف العالمية من حولنا، إن غيرت فيما تطيق كفاك ما لا تطيق، لقد وعدنا وعداً لا يخلفه:

﴿ إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

[سورة محمد: ٧]

ونصر الله هو في الامتثال الكامل والتطبيق الشامل الدقيق لدينه الذي ارتضاه لنا.

خطوات النصر :

أيها الأخوة الكرام: هذه بعض الخطوات، الرجوع إلى الدين رجوعاً مبنياً على العلم الصحيح و الفقه السديد تصفية وتربية، تعلماً وتعليماً، عبادة وشرعية، عقيدة وسلوكاً، جهاداً و دعوة. ثانياً: الدخول في الإسلام كافة، وعدم التهاون والتفريط بأي جزئية أو تفصيل أو فرع من هذا الدين المتين المحكم، فهو عهد و ميثاق فليس في دين الله أمر بسيط:

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾

[سورة المزمل: ٥]

و العمل الصالح سبيل التمكين:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾

[سورة النور: ٥٥]

ثالثاً: إحياء شعيرة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بين كافة شرائح الأمة، وأفرادها بضوابطها و شروطها.

إدراك الموازنة الصحيحة و التعامل السوي مع الدنيا و الآخرة:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾

[سورة القصص: ٧٧]

ومن ذلك إصلاح الحياة الاقتصادية بجميع مرافقها، وإقامتها وفق شرع الله، واجتتاب المعاملات الربوية المحرمة بجميع صورها وأشكالها، و من ذلك إحياء عقيدة الولاء و البراء و التناصر بين المسلمين بكل صورته؛ بالدعاء و المساندة، و المساعدة و المشاركة. و لكن أيها الأخوة هذا الأمر يحتاج إلى مجاهدة و مصابرة و صبر مع إخلاص النية و صدق التوجه:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾

[سورة العنكبوت: ٦٩]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

[سورة آل عمران: ٢٠٠]

و لكن هذا الأمر أيها الأخوة، يحتاج إلى مراجعة و متابعة، و تقويم، فالدواء ناجع، و السبيل موصل إلى الله تعالى، و لكن أقول هذه الكلمة: لو أن كل الوقائع التي وقعت تبدو مخالفة لسنن الله عز و جل الجواب: صدق الله و كذب بطن أخيك. و لكن هو السبيل الوحيد لمعالجة واقع الأمة، و لمواجهة المصائب، و النوازل التي تحل بنا بتكوين و عي عميق مؤصل لما نحن فيه أسباباً و نتائجاً و حلولاً، معتمدين على ما شرف الله به هذه الأمة، و هو الوحي: (قل كل يعمل على شاكلته).

أيها الأخوة: النظرة هذه لن تعجب ذوي الأنفاس القصيرة، و العواطف المتأججة، و الرؤى الضيقة، و الهمم المستعجلة:

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾

[سورة الزخرف: ٤٤]

أيها الأخ الكريم: نصوص الوحيين الكتاب و السنة تخاطبك أنت دون سواك، و تحملك مسؤولية ستسأل عنها و حدك يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، و كل امرئ حجيح نفسه، فالمسارعة إلى استعمال الدواء، و الحذر الحذر من اليأس و التعجل و القنوط، و لن ينفعنا التساهل و التأجيل، و اختراع المشاجب لنعلق عليها مصائبنا فراراً من مواجهة المسؤولية و التصدي لها. أيها الأخوة الكرام: في خطبة قادمة إن شاء الله سأحدثكم بما في الكتاب و السنة عما ينتظر

هؤلاء المعتدين الظالمين الكفرة المجرمين، في هذه الخطبة لعل الله سبحانه و تعالى يلهمكم أن تعودوا إلى رشدكم، وأن ترتبوا أوراقكم الداخلية، وأن تقيموا أمر الله فيما تملكون، وأن تغيروا فيما أنتم عليه قادرون حتى يغير الله فيما لا نقدر على تغييره، هذا البلاء ليس له من دون الله كاشف، أم الأرض مجتمعة لا تستطيع أن تواجهه إلا إذا أراد الله ذلك.

أيها الأخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، و زنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، و اعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيخطى غيرنا إلينا، فلنخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، و العاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين و أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، و أشهد أن سيدنا محمداً عبده و رسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

خطبة قاضي دمشق محي الدين القرشي عند فتح القدس :

أيها الأخوة الكرام: في زحمة الأخبار التي تذاغ في هذه الأيام التقطت خبراً صغيراً هو أن بلدة اسمها تكريت تبعد مئة و خمسين كيلو متراً عن بغداد، هذه البلدة هي مسقط رأس البطل صلاح الدين الأيوبي، و الإنسان حينما يسحقه الواقع يعود إلى التاريخ، ماذا فعل هذا البطل ؟ كيف واجه جيوش الغرب مجتمعة ؟ كيف نصره الله عز وجل ؟

أيها الأخوة: ننتقل بكم إلى مدينة القدس حيث المسجد الأقصى متعبد الأنبياء السابقين، و مسرى خاتم النبيين، نعود بكم القهقري عبر الزمان إلى يوم الجمعة الواقع في السابع و العشرين من شهر رجب عام خمسمئة و ثلاثة و ثمانين للهجرة الموافق للثاني من تشرين الأول عام ألف و مئة و سبعة و ثمانين للميلاد، ففي هذا اليوم تمّ فتح مدينة القدس من قبل المسلمين و بقيادة البطل صلاح الدين، و تمّ تحريرها من أيدي الغزاة الطامعين، و ها نحن أولاء نرى القلوب قد امتلأت بالفرح، و الوجوه قد عمها البشر، و نسمع الألسنة و قد لهجت بالشكر، لقد علت الرايات و علفت القناديل و رفع الأذان بين قوسين.

ماذا فعل الجنود المعتدون في البصرة ؟ وزعوا مجلات إباحية، وجاء في الخبر أنها خدشت حياء المسلمين، هذه رسالتهم، وها نحن أولاء نرى القلوب قد امتلأت بالفرح و الوجوه قد عمها البشر، و نسمع الألسنة و قد لهجت بالشكر، لقد علت الرايات و علفت القناديل، و رفع الأذان، وتلى القرآن، و صفت العبادات، و أقيمت الصلوات، و أديمت الدعوات، و تجلت البركات، و انجلت الكربات، و زال العبوس، و طابت النفوس، و فرح المؤمنون بنصر الله.

ها نحن أولاء ندخل المسجد الأقصى فإذا المسلمون وفيهم صلاح الدين وجنده يجلسون على الأرض، لا تتفاوت مقاعدهم، ولا يمتاز أميرهم عن أحد منهم، قد خشعت جوارحهم، و سكنت حركاتهم، هؤلاء الذين كانوا فرساناً في أرض المعركة استحالوا رهباناً خشعاً كأن على رؤوسهم الطير في حرم المسجد، و هاهو ذا خطيب المسجد محي الدين القرشي قاضي دمشق يصعد المنبر، ويلقي خطبة لو ألقيت على رمال البيد لتحركت، وانقلبت فرساناً، و لو سمعتها الصخور الصم لانبثقت فيها الحياة، لقد افتتحها بقوله تعالى – أرجو الله أن يعاد ذلك:

﴿ فَقَطَعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[سورة الأنعام: ٤٥]

و ها نحن أولاء نستمتع إلى فقرات من خطبته: أيها الناس أبشروا برضوان من الله تعالى الذي هو الغاية القصوى، والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة، و ردها إلى مقرها من الإسلام بعد ابتذالها من أيدي المعتدين الغاصبين قريباً من مئة عام، و تطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يرفع و يذكر فيها اسمه من رجس الشرك و العدوان، ثم قال محذراً: إياكم عباد الله أن يستنذلكم الشيطان فيخيل إليكم أن هذا النصر كان بسيوفاكم الحداد وخيولكم الجياد، لا و الله و ما النصر إلا من عند الله، فاحذروا عباد الله بعد أن شرفكم الله بهذا الفتح الجليل أن تقترفوا كبيرة من مناهيه، انصروا الله ينصركم، خذوا في حسم الداء و قطع شأفة الأعداء، و ها نحن أولاء نخرج من المسجد الأقصى و نلتقي بأحد الفرنجة الذين شهدوا فتح القدس و هاهو ذا يحدثنا – وازنوا بين ما رأيتم عقب انتهاء المقاومة من فوضى و بين ما سيقول هذا الفرنجي عن المسلمين – إن المسلمين لم يؤذوا أحداً، ولم ينهبوا مالاً، ولم يقتلوا مسالماً، ولا معاهداً، وإن من شاء منا خرج، وحمل معه ما شاء، وإنا بعنا للمسلمين ما فضل من أمتعتنا فاشتروها منا بأثمانها، وإنا نغدو و نروح آمين مطمئنين، لم نر منهم إلا الخير والمروءة فهم أهل حضارة و تمدن، و صدق من قال: ما عرف التاريخ أرحم من العرب المسلمين.

قوانين الله عز وجل و سننه ثابتة لا تتغير :

أيها الأخوة الكرام: هذه ومضة من التاريخ، هذه ومضة حينما عاد المسلمون إلى ربهم، هذه ومضة حينما غير المسلمون غير الله ما بهم، هذه بارقة أمل، الإله موجود و قوانينه ثابتة و سننه لا تتبدل و لا تتغير، هذه الخطبة تضغط في كلمة التغيير:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة الرعد: ١١]

قوانين الله عز وجل و سننه ثابتة لا تتغير و لا تتبدل، ليكن انتماءك أي انتماء، و ليكن شعارك أي شعار، و لتكن رايتك أية راية، الله عز وجل له سنن وله قواعد، وله قوانين لا تتبدل ولا

تتغير، إن الله لا ينظر إلى صوركم، ويقاس عليها: ولا إلى راياتكم، ولا إلى شعاراتكم، ولا إلى طروحاتكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، و المؤمنون الصادقون تنطبق عليهم الآية الكريمة:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾

[سورة آل عمران: ١٧٣]

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة آل عمران: ١٧٣]

أيها الأخوة الكرام: المسلمون جميعاً في بفاع الأرض قاطبة في محنة كبيرة، رأيتم ضعفهم؟ رأيتم عواطفهم التي لا تؤكد أفعالهم؟ رأيتم تخاذلهم؟ رأيتم جيوب الخيانة فيهم ثم رأيتم جريمة الكفار و قسوة الكفار و كذب الكفار، و لؤم الكفار، إنهم يقولون ما لا يفعلون، من هو الأعر الدجال؟ هو الذي يقول شيئاً و يفعل شيئاً، هو الذي ينظر بعين واحدة، ينظر إلى خدش نخدشه به، ولا ينظر إلى سكينه التي تريق الدماء هو أعر دجال، كافر محتال.

أيها الأخوة الكرام:

﴿ هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾

[سورة آل عمران: ١١٩]

و قد صدق الله العظيم ما من عمل أجدى من أن نعود إلى الله فرادى و مجتمعين، علينا أن نغير حتى فيما تظنه تافهاً، غير كل شيء و انتظر من الله النصر.

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، و عافنا فيمن عافيت، و تولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، و قنا و اصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق و لا يقضى عليك، و إنه لا يذل من واليت، و لا يعز من عاديت، تباركت ربنا و تعاليت، و لك الحمد على ما قضيت، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، و أصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، و أصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، و اجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، و اجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، و بطاعتك عن معصيتك، و بفضلك عن سواك، اللهم لا تؤمنا مكر، و لا تهتك عنا سترك، و لا تنسنا ذكرك يا رب العالمين، اللهم بفضلك و رحمتك أعل كلمة الحق و الدين، و انصر الإسلام و أعز المسلمين، و أذل الشرك و المشركين، أذل أعداءك أعداء الدين يا رب العالمين، شئت شملهم، فرق جمعهم، خالف فيما بينهم، اجعل الدائرة تدور عليهم، اجعل تدميرهم في تدبيرهم يا رب العالمين، أرنا قدرتك في تدميرهم يا أكرم الأكرمين، انصرنا على أنفسنا حتى ننصر لك، حتى نستحق أن نتصرنا على أعدائنا يا رب العالمين، اللهم

وفق ولاة المسلمين في مشارق الأرض و مغاربها لما تحب و ترضى، و اجمع بينهم على خير،
إنك على ما تشاء قدير و بالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين